الدورة التكوينية الجامعية في موضوع:

القرآن الكريم وخطابه المتجدد

تطوان/ المغرب: 28 ربيع الأول-3 ربيع الثاني (16-21/4/ 2007م)

خالد الصمدي، ومحمد علواش*

عقد المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان، دورة تكوينية جامعية في موضوع القرآن الكريم وخطابه المتجدد، حضرها عشرون مشاركاً من الجامعات المغربية المختلفة، الذين أنجزوا أطروحات الدكتوراه في الدراسات القرآنية حديثاً أو ممن هم على وشك إنجازها، كما شارك في هذه الدورة ستة من الأساتذة المؤطرين. وقد استهدفت الدورة إتاحة المجال لهذه الفئة من الباحثين والمدرسين الشباب للاطلاع على مستجدات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، وتبادل التجارب والخبرات في منهجية البحث، ومناقشة الإشكالات المعرفية والمنهجية التي تواجههم في رسائلهم الجامعية ومساعدتهم على تجاوزها، وفتح آفاق جديدة للبحث في الدراسات القرآنية من خلال توليد أسئلة وموضوعات ذات أهمية وأولوية.

وقد تضمنت ورقة عمل الدورة ستة محاور هي: محور تاريخ القرآن الكريم: نزوله، وجمعه، وتدوينه، ولغته؛ ومحور القرآن الكريم والقراءات الحديثة؛ ومحور السنن الكونية

---

* الدكتور خالد الصمدي رئيس شعبة الدراسات الإسلامية في المدرسة العليا للأساتذة بتطوان، ورئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية في المدرسة. والأستاذ محمد علواش باحث بسلك الدكتوراه بكلية الآداب بني ملال ومدرس بقسم الدراسات الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان بالمملكة المغربية .

والاجتماعية في القرآن الكريم؛ ومحور القرآن الكريم والحضارة الحديثة؛ ومحور تجديد علوم القرآن الكريم؛ وأخيراً محور القرآن الكريم وعلومه من المادة العلمية إلى المادة التعليمية.

واستغرق التحضير للدورة سنة كاملة قبل انعقادها. ومن أجل ضمان مشاركة فاعلة في الدورة تم اعتماد مقاربة خاصة في التنظيم والتواصل العلمي بين اللجنة العلمية للدورة والمشاركين والمؤطرين، وتضمنت هذه المقاربة الإعلان عن الدورة والدعوة إلى المشاركة فيها في الصحافة الوطنية مع تحديد المعايير العلمية للمشاركة. وقد توصلت اللجنة المنظمة بحوالي أربعين طلباً للمشاركة، من مختلف الجامعات ومراكز البحث المغربية، وتم القبول المبدئي لثلاثين منهم بناءً على معايير التخصص العلمي المطلوب في الدورة واستكتابهم في المحاور المحددة للدورة، ومن ثم النظر في ملخصات البحوث ومدى ملاءمتها لمحاور التكوين في الدورة، كما طلب كتابة البحوث وفق معايير علمية ومنهجية محددة. وقد تم قبول عشرين مشاركاً في الدورة وتحديد أجل معين للتوصل ببحوثهم، فضلاً عن استكتاب الأساتذة المؤطرين في كل محور من محاور الدورة والتوصل ببحوثهم التي يغطي كل منها محوراً من محاور الدورة، وخطة عمل لورشة حول ذلك المحور. وقد تمّ إرسال جميع بحوث المؤطرين إلى المشاركين المقبولين كافة، لدراستها وتهيئة متطلباتها التطبيقية قبل أربعة أشهر من موعد انعقاد الدورة، واعتبرت الأيام الستة التي انتظم فيها المشاركون في الدورة فرصة لمعرفة حصيلة التكوين في فترة التمهيد للدورة.

افتتحت أعمال الدورة، بجلسة افتتاحية ألقى فيها الدكتور الجلالي عريض مدير المدرسة العليا للأساتذة بتطوان كلمة رحب فيها بالمشاركين من المتدربين والمؤطرين، ونوه بالجهود التي يقوم بها المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية خدمة للفكر التربوي الإسلامي ولمنتسبي المدرسة وغيرهم. ثم تناول الحديث بعدها الدكتور فتحي حسن ملكاوي —المدير التنفيذي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي- فنوه بأواصر التعاون التي تجمع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان

وبالمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية، معبرا للحاضرين عن الاهتمام الخاص الذي يوليه المعهد لمثل هذه الدورات التي تهتم بالقرآن الكريم وخطابه العالمي.

ثم افتتحت الأعمال العلمية بمحاضرة أكاديمية افتتاحية لفائدة المشاركين والمؤطرين وأساتذة المدرسة العليا وطلبتها، قبل التئام أعمال الدورة المغلقة لفائدة المشاركين فقط، وقد كانت المحاضرة بعنوان "إشكالية التحيز في مناهج التربية والتعليم" ألقاها الدكتور فتحي حسن ملكاوي تعرض فيها إلى مفهوم التحيز وأهمية البحث في موضوعه وبيان أنواعه. ثم ركز حديثه على مصادر التحيز في الفكر التربوي الغربي ووجوب النظرفيها بعين ناقدة، لينتقل إلى التمييز بين المنهج الصريح والخفي في أركان العملية التربوية ودور المنهج الخفي في تشكيل عقلية الفرد على المستوى النفسي والاجتماعي، كما بين الأسس التي يقوم عليها التحيز المباشر، وختم محاضرته بضرورة الوعي بالتحيز وأهمية هذا الوعي في بناء مناهج التربية والتعليم. وقد تلت المحاضرة مناقشة عامة من طرف المشاركين أغنت الموضوع.

وبعد هذا العرض الافتتاحي انطلقت الأعمال المغلقة للدورة، فقدم الدكتور جمال السعيدي الأستاذ في جامعة محمد الخامس بالرباط، الورقة التأطيرية الأولى بعنوان: تفسير القرآن الكريم بين التقليد والتجديد؛ إذ أشار إلى اختلاف جهود المفسرين للقرآن، وأرجعه إلى أسباب علمية ومنهجية ومذهبية وذاتية، مشيراً إلى عظمة القرآن الكريم من خلال كثرة تناوله من قبل العلماء السابقين، أما المعاصرون ممن زعموا التجديد فلم يحسنوا التعامل معه لأنهم اشتغلوا بمناهج دخيلة عليه، وختم بضرورة تجديد الخطاب القرآني من خلال أدواته ومناهجه الأصيلة، وإلا ضاعت علوم القرآن الكريم بين ثنائية التجديد والتقليد.

ثم جاء دور بحوث المشاركين، فعرض الأستاذ محمد المنتار (باحث بسلك الدراسات المعمقة بجامعة القاضي عياض/مراكش) بحثه بعنوان: إطلاقية القرآن الكريم ودلالتها بوصفها محدداً منهاجياً" حيث عرف القرآن الكريم بصفته رسالة خاتمة، كما تحدث عن صفاته من حيث كونها محددات منهاجية تمنحه الهيمنة والتصديق والقدرة

والتجاوز لكل الكتب السابقة، ثم وقف عند معنى إطلاقية القرآن الكريم، وكيفية توظيفها في بناء رؤية منهجية تخلصنا من النظرة التجزيئية، وختم ببيان دورها في الشهود الحضاري للأمة.

وكانت الورقة الثانية للأستاذ محمد بوجيجة (باحث بسلك الدراسات المعمقة بجامعة القاضي عياض/ بني ملال) وتناولت "محاولات تحريف القرآن الكريم بين الأمس واليوم"فكشف فيها المحاضر عن الهجمات التاريخية التي تعرض لها القرآن الكريم قديماً منذ زمن النبوة، وحديثاً منذ القرن التاسع عشر مثال ذلك قرآن البهائية، وصولا إلى "الفرقان الحق". وختم بحثه بإبراز معالم حفظ القرآن الكريم حفظاً حفظاً كونياً وشرعياً.

أما الورقة الثالثة من أوراق المشاركين فكانت للأستاذ رشيد بن توزالت (باحث بسلك الدراسات المعمقة بجامعة القاضي عياض/ بني ملال) بعنوان: "جمع القرآن الكريم والطعن الاستشراقي"، فبيّن أن القرآن الكريم تعرض لهجمات من طرف المستشرقين في تاريخ جمع جمعه، متلقفين شبهات واهية قصد التشويش على حفظه وصحته، منها قضية جمعه ومراحل تدوينه، وختمت الورقة ببيان خاصية الحفظ التي تفرد بها القرآن الكريم على مر التاريخ.

وفي اليوم الثاني، قدم الورقة التأطيرية الدكتور سعيد شبار الأستاذ بجامعة القاضي عياض/ بني ملال، بعنوان "الخلفيات التاريخية المؤسسة لموقف الحضارة الحديثة من القرآن الكريم"، فتحدث عن التاريخ الديني الخاص بالحضارة الغربية، مشيراً إلى حركة النقد التي توجهت لموثوقية النص الديني وإسقاط القداسة عنه، وكشف النقاب عن الدور التحريفي لمؤسسة الاستشراق وكيف شكلت رؤية الغرب تجاه القرآن الكريم، بالإضافة إلى واقع الأمة المتردي الذي أسهم في هذا التشكيل، لينتقل إلى بيان ضرورة الإصلاح لاستئناف البناء.

ثم جاءت الورقة الأولى من أوراق المشاركين في هذه الجلسة للدكتور محمد العلمي (أستاذ بالمركز التربوي الجهوي بمكناس) تناول فيها موضوع "نظرة الحضارة الحديثة

للقرآن الكريم من اللاهوت إلى الشهود الحضاري؛" إذ وضح مفهوم الحضارة في القرآن الكريم ومدى إسهام القرآن الكريم في بناء الحضارة الحديثة، وسبل استلهام المنهجية القرآنية لتحقيق الشهود الحضاري. وكانت الورقة الثانية للأستاذة أسماء عماري (باحثة بقسم الدراسات الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان) فكشفت عن قيمة "الحوار في القرآن الكريم" وضربت أمثلة على ذلك من خلال الحوار في قصص الأنبياء، كما تناولت أنواع الحوار وأهمية التحلي به في العلاقة مع الآخر لتحقيق عالمية الإسلام.

وقد ختم اليوم الثاني بورشة عمل لمناقشة ورقة بعنوان "الجمع بين القراءتين" للدكتور طه جابر العلواني قدمها وعمل على تسييرها الدكتور سعيد شبار، حيث تخللتها مناقشة ركزت على حدود التمايز والتداخل المنهجي في مسألة الجمع بين القراءتين "قراءة الوحي وقراءة الكون"، وأي القراءتين أولى في الترتيب. وكيف يمكن استثمار ذلك في بناء الرؤية الكلية.

وفي اليوم الثالث قدم الدكتور عبد الرحمن بودراع من جامعة مولاي محمد السعدي بتطوان، ورقة بعنوان: "القرآن الكريم ومناهج النقد الحديث،" فعرض المراحل التي مر بها التفسير من النشأة إلى العصر الحديث، مستعرضاً نماذج من مناهج النقد الحديث في التعامل مع القرآن الكريم، مشيراً إلى أهمية الاستفادة من المناهج والنظريات الحديثة في فهم القرآن الكريم وفق معايير محددة لا تنال من إطلاقية القرآن الكريم، لأن المفسر هو ابن عصره، وختم بحثه ببيان دور السياق في فهم النص القرآني.

ثم جاء موعد بحوث المشاركين فبدأها الأستاذ عبد الغني كريم (باحث بسلك الدراسات المعمقة بجامعة محمد بن عبد الله بفاس) بورقة بعنوان: القراءات المعاصرة للنص القرآني، نصر حامد أبوزيد نموذجاً، فبين أن هذه القراءات انتظمت في منهجين: أحدهما ينطلق من الرؤية الذاتية، والآخر ينطلق من الرؤية الغربية للنص المقدس، مستعرضا نموذج قراءة نصر حامد أبو زيد، فبين المصطلحات التي يوظفها والأهداف التي أراد تحقيقها من خلال قراءته، وختم ببيان أوجه انتقاد هذه القراءة.

وتلا ذلك عرض ورقة المشاركة الدكتورة فاطمة بيهردي (باحثة بسلك الدكتوراه بجامعة محمد بن عبد الله بفاس) بعنوان: "التفسير الموضوعي: الرؤية الجديدة لتفسير القرآن الكريم" فأشارت إلى أهمية المنهج الموضوعي في التفسير ونشأته وطرقه، وطرق الاستفادة منه في بناء الرؤية القرآنية الكلية.

ثم عرض المشارك الأستاذ محمد علواش (باحث بقسم الدراسات الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان) ورقة بعنوان: "تجديد الخطاب القرآني عند نصر حامد أبي زيد"، فقدم فيه خلاصة عن مشروع "أبي زيد" الذي يعتقد أن التمسك بالتفسير المأثور يؤدي إلى التخلف، وأن التقدم مرتبط بإعمال التأويل، ثم إن الدراسة الأدبية للقرآن هي المنهج الملائم لمادته، وختم بذكر بعض النظريات المعاصرة التي اعتمدها في دراسته للنص القرآني كالهيرمينوطيقا، منتهياً إلى طرح إشكالات حول منهجية هذه القراءة.

واختتمت أوراق المشاركين لهذا اليوم بورقة الدكتور محمد البوزي (من الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بمراكش) بعنوان: "اتجاهات التجديد ومناهجه في تفسير القرآن الكريم، وموقع الدراسة المصطلحية" فأشار إلى جهود مدرسة المنار ودورها في خدمة القرآن الكريم، ثم بين أهمية الدراسة المصطلحية في تصحيح مفاهيم القرآن الكريم، ومثل لذلك بمصطلح العلم والتقوى.

أما ورشة العمل فخصصت لمناقشة ورقة الدكتور طه جابر العلواني بعنوان" الوحدة البنائية للقرآن الكريم"، بإشراف الدكتور عبد الرحمن بودراع؛ إذ ناقش أهمية الإيمان بالوحدة البنائية للقرآن الكريم، وعدّها محدداً منهاجياً لتجاوز القراءة، و بين طرق الاستفادة من هذه الوحدة في فهم أبعاد النص القرآني ومقاصده، والأسس العلمية والمنهجية في التعامل معه والاستفادة منه.

وكان العرض المؤطر لليوم الرابع بعنوان "السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم" للدكتور توفيق الغلبزوري (من كلية أصول الدين بجامعة القرويين بتطوان)،

فناقش مفهوم السنن الكونية والاجتماعية، وأهمية العلم بها والتفاعل معها، كما ذكر خصائصها في القرآن الكريم كالربانية والشمول والثبات، ثم ختم كلمته بذكر بعض سنن النهوض مثل سُنّة التغيير الاجتماعية، وسنة التداول الحضاري، والتدافع، والنصر والتمكين.

ثم جاءت ورقة المشارك الأستاذ حميد الرباع (باحث بسلك الدكتوراه من جامع الحسن الثاني بالمحمدية) "فقه سنن العمران البشري في القرآن الكريم، مدخل لتحقيق الشهود، فبين أن القرآن الكريم هو المدخل الأساس للمعرفة الإسلامية، ولفهم واقع المجتمعات، وأن استشراف المستقبل يستلزم فقه السنن، وختم بحثه ببيان أهمية سنن العمران البشري، والجمع بين القراءتين.

تلا ذلك ورقة الأستاذة سعاد كوريم (باحثة بسلك الدكتوراه بكلية الآداب بمكناس) بعنوان: "القرآن الكريم مصدراً للسنن الاجتماعية،" فأشارت إلى دواعي الاهتمام بالسنن الاجتماعية، ومنهج استخراجها من القرآن الكريم، كالبدء بجمع النصوص والتمييز بينها لتحصيل معرفة سننية اجتماعية.

أما الورقة الثالثة للمشاركين في هذه الجلسة فكانت للدكتور عثمان مصباح (باحث في سلك الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة ابن طفيل بالقنيطره) بعنوان: "مفهوم الفطرة؛ بينات قرآنية لم تستثمر بعد" وحاول من خلال دراسته أن يخلص إلى مفهوم جديد للفطرة من خلال تتبع كتاب "التمهيد" لابن عبد البر، فوقف عند إشكالات حول مفهوم الفطرة، وختم بحثه بتأكيد أهمية العودة إلى القرآن الكريم لتجلية معنى الفطرة.

وكانت الورقة الرابعة من أوراق المشاركين للأستاذ البشير فالح (باحث بسلك الدكتوراه بجامعة محمد بن عبد الله بفاس)، بعنوان: "مفهوم العقل في القرآن بين الذاتية والوظيفية" وفيها قدم قراءة نقدية لمفهوم العقل بوصفه ذاتاً وهو المعنى الأرسطي المتداول، بينما مفهومه في القرآن الكريم يدل على الحركة والوظيفة التي يقوم بها الإنسان، وختم ببيان أهمية الرجوع إلى القرآن الكريم لتصحيح المفاهيم.

وقد خصصت ورشة هذا اليوم لمناقشة ورقة بعنوان "أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها" للدكتور طه جابر العلواني، أشرف على تسييرها الدكتور توفيق الغلبزوري الذي لخص أهم القضايا المحورية الموجودة في الورقة، والإشكالات التي يعرضها، ثم تلا ذلك مناقشة مفتوحة حول موضوع الورقة، وتمحورت المناقشة حول البعد الإنساني والعالمي للخطاب القرآني، ومثبطات تحقيق ذلك في التعامل القاصر للمسلمين مع هذا المفهوم، وآلية الوصول إلى بسط منهاج القرآن الكريم في معالجة الأزمات الإنسانية.

وافتتح اليوم الخامس بعرض تأطيري بعنوان: "تفسير القرآن الكريم بين المنهجين اللغوي والمقاصدي عرض وتحليل" قدمه الدكتور عبد الهادي الخمليشي (أستاذ بدار الحديث الحسنية بالرباط)، وضمنه نبذة تاريخية عن التفسير اللغوي، ثم بين ضرورة اعتماد المفسر على دعامتين لغوية ومقاصدية حتى يكون تفسيره متكاملاً، وختم عرضه بمثال تطبيقي للتفسير المقاصدي.

أما عروض المشاركين فكان العرض الأول فيها للأستاذ محمد الناصري (باحث بسلك الدراسات المعمقة بجامعة القاضي عياض/ بني ملال) بعنوان: "النسخ في القرآن الكريم بين المؤيدين والمعارضين فأشار إلى اهتمام العلماء بموضوع النسخ لما له من دور في تفسير القرآن الكريم، ثم عرض آراء المؤيدين للنسخ والمعارضين له بأدلتهم، ورأي أنّ هذا الموضوع يعدّ إشكالا حقيقياً يحتاج إلى دراسة عميقة.

وتلا ذلك ورقة المشارك الأستاذ محمد بووانو (باحث بسلك الدكتوراه بكلية أصول الدين بجامعة القرويين بتطوان) بعنوان: "القراءات القرآنية" فتعرض لتعريف القراءات القرآنية، ومعنى نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وفوائد تعدد القراءات، وختم بمناقشة شبهات المستشرقين حولها.

ثم كانت ورقة الأستاذ علي الوزاني (باحث بسلك الدكتوراه بجامعة محمد بن عبد الله بفاس) تتناول آلية "توظيف المقاصد في فهم القرآن الكريم عند ابن العربي"، فأشار

إلى دور المقاصد في فهم القرآن الكريم خاصة في النصوص الظنية، كما بين بعض المقاصد التي أشار إليها القرآن الكريم، واستعرض أمثلة عديدة من خلال أحكام القرآن الكريم لابن العربي.

وكانت الورقة الأخيرة من أوراق المشاركين لهذا اليوم بعنوان: "الثابت والمفتوح في المعاني القرآنية" قدمها الأستاذ خالد المودن (باحث بقسم الدراسات الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان) وأشار فيها إلى أن معاني القرآن الكريم توقيفية وحصرها في تفسير القرآن بالقرآن والتفسير النبوي، أما غيرها من تفسير الصحابة وأقوال المفسرين فهي اجتهادات فحسب، باستثناء ما كان في حكم المرفوع، وختم ورقته ببيان منهج النقد الحديثي من خلال سبع محددات علمية. في تتبع التفسير بالمأثور.

أما ورشة العمل المخصصة لهذا اليوم فكان موضوعها ورقة الدكتور طه جابر العلواني بعنوان "لسان القرآن" وعرضها الدكتور عبد الهادي الخمليشي، وأكدت الورقة أن لسان القرآن متميز عن اللغة العربية، وأن شرط نهوض الأمة رهين بارتباطها بلسان القرآن الكريم، فهو القادر على منحها معطيات الخلود والشهود.

وكان العرض المؤطر لليوم السادس بعنوان "الرحلة التعليمية للمادة العلمية وتطبيقاتها في تطوير المناهج التعليمية للقرآن وعلومه" للدكتور خالد الصمدي (رئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان)، الذي حاول تشخيص وضعية البحث التربوي في علوم الشريعة بالجامعات، وكذا وضعية المناهج التعليمية الجامعية، ليقترح رؤية جديدة لتطوير مناهج تدريس علوم الشريعة.

أما عروض المشاركين في هذا اليوم فكان العرض الأول للأستاذ التوفيق التضمين (منسق مركزي لمادة التربية الإسلامية بوزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي)، حول موضوع "القرآن الكريم كمادة تعليمية في مختلف المراحل الدراسية النظامية بالمغرب"، فاستعرض المنهاج التعليمي الخاص بمادة القرآن الكريم في مختلف المستويات الدراسية، وحضوره في صورة مادة وظيفية في منهاج

التربية الإسلامية بالتعليم العام، وكمادة مستقلة في التعليم الأصيل بالمغرب، مبرزاً أهم الإشكالات المعرفية والمنهجية المرتبطة بالمادة وسبل تجاوزها.

أما الأستاذ عبد السلام الأحمر (عضو المكتب التنفيذي للرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية) فقد ناقش "مسؤولية المتعلم في التربية القرآنية والتجديد التربوي" فاستنبط من القرآن الكريم مسؤوليات الفرد تجاه النفس والكون والمجتمع والخالق، ومنهج القرآن الكريم في التوعية بأهميتها، ودور التربية القرآنية في الارتقاء بالحس الإيجابي للفرد تجاه الواجبات والمسؤوليات.

وخصصت ورشة العمل لمناقشة بطاقة تقنية في موضوع "الهندسة البيداغوجية لوحدة تعليمية جامعية في علوم القرآن"، بإشراف الدكتور خالد الصمدي، حيث بين طريقة إعداد بطاقة تقنية لوحدة علوم القرآن الكريم في سلك الإجازة، مع شرح بعض المصطلحات التربوية المرتبطة بها، والتنبيه إلى بعض الأخطاء المنهجية والتربوية التي قد يقع فيها واضعو مناهج العلوم الإسلامية بالجامعات.

وقد تضمنت الجلسة الختامية كلمات باسم المشاركين والمؤطرين؛ إذ أشادت بالجو العلمي الرفيع الذي ساد أشغال هذا الدورة التكوينية، ثم عرض الدكتور محمد الراضي رئيس مختبر الإنتاج التربوي بالمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية وفريقه العلمي والتقني، شريطاً سمعياً بصرياً أعده المختبر خلال أيام الدورة يلخص مجمل أشغالها أمام المشاركين من بدايتها إلى نهايتها، وسلمت نسخ منه إلى جميع المشاركين والمؤطرين، ثم سلمت الشهادات العلمية إلى المشاركين كافة، وشهادات تقديرية لمختلف المؤطرين والمنظمين، وكما كان الافتتاح بالذكر الحكيم ختمت أشغال الدورة. وبالله التوفيق.